مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 359-383
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الحرف في عمالة وهران إبان الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية

Crafts In the department of Oran during French occupation according to the Archives

خديجة بختاوي ♦

جامعة سيدي بلعباس، (الجزائر)، bekhtaouikhadidja@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/02/22	تاريخ القبول: 2022/03/30	تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند حقيقة النشاط الحرفي في الجزائر ومدى تمثيله لطبيعة الحياة الاقتصادية للجزائريين، والنمط المعيشي للسكان،اعتمد فيها الجزائريون على الإمكانيات الطبيعية المتاحة لإقامة نشاط اقتصادي شكل العصب الاقتصادي للجزائر العثمانية ومصدر رزق للعديد من الأسر في المدينة كما في الريف، شهد تحولا جذريا بعد الاحتلال بسبب سيطرة المستوطن على مصادر المواد الأولية وبالتالي مصادرتهم لهذا القطاع رغم ادعاء البعض بأنه قطاع متخلف، وتّم تحويله من قطاع حرفي معيشي إلى قطب صناعي عصري خاصة بعض الأنشطة التي لاقت رواجا كبيرا.

لا يقصد من وراء هذا التخلص الكلي على الجانب التقليدي للمصنوعات الحرفية بل العكس تمسك الفرنسيون بالجانب التقني وبالمواد الأولية التي يعتمد عليها الحرفيون في نشاطهم بل سعى البعض إلى تدوينها للحفاظ عليها من الزوال خاصة وأنها كانت تعتمد على الحفظ؛ أي على الذاكرة، فخشيت عليها من الزوال لذلك اهتم البعض بهده الأنشطة وسعوا إلى تكوين مؤسسات مهنية لتدريسها والحفاظ عليها.

لم يكن هدف الفرنسيون من التدخل في هذا المجال هو ضمان استمرارية هذا النشاط وإنما انتزاع ومصادرة مجال لطالما شكل مصدر رزق ثان للجزائريين بعد الزراعة، وتحويله لنشاط اقتصادي فرنسي، وكانت النتيجة أن أصبحت الأنشطة الحرفية الجزائرية تتماشى ومتطلبات السوق الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال؛ الحرف؛ مراكز التكوين؛ التعاونيات؛ القروض.

♦ **المؤلف المرسل**

Abstract: The study aims to examine the reality of craft activity in Algeria and how it represents the nature of the economic life of Algerians, and the lifestyle of the population. Algerians relied on the natural possibilities available to establish economic activity in the form of the economic backbone of Ottoman Algeria and a source of livelihood for many families in the city, like in the countryside, which witnessed a radical transformation after the occupation due to the settlers' control over the sources of raw materials and consequently their confiscation of this sector, despite the claims of some that it is a underdeveloped sector. It was transformed from a professional living sector to a modern industrial sector, especially some activities that were highly popular.

Some even tried to write them down in order to keep them from disappearing, especially since they depended on memorization only and they feared they would disappear .Some were therefore interested in these activities and sought to form professional institutions to teach and preserve them.

The French aim was not to ensure the continuity of this activity, but rather to confiscate a domain that had always been a second source of livelihood for Algerians after agriculture and turn it into a French economic activity, as a result of which Algerian craft activities became in line with the requirements of the French market.

Key words: Occupation; Crafts; institution; Cooperatives; Loan.

مقدمة:

شكل النشاط الحرفي مصدر دخل بالنسبة للأسرة الجزائرية، وبالقضاء عليه انهارت أطر كانت بمثابة ركيزة المهن المحلية التي داع صيتها في فترة ما قبل الاحتلال، وفي هذا السياق يدور موضوع المقال حول تأثير السياسة الفرنسية على النشاط الحرفي في عمالة وهران، فعلى الرغم من أن هذا النشاط لم يرقى ليصبح قطبا اقتصاديا مواكبا للقفزة الصناعية التي كان يشهدها العالم خلال تلك الفترة لكنه كان يغطي حاجيات المجتمع الجزائري ومتطلباته اليومية.

ونظرا لأهمية النشاط الحرفي في حياة الجزائريين رأينا أنه من الضروري معالجة هذا الموضوع للوقوف عند طبيعة هذا النشاط وأهم التغيرات الطارئة عليه كنتيجة لتأثير السياسة الفرنسية.

تعرف الحرف على أنها أنشطة صناعية تقليدية يزاولها فرد أو مجموعة من الأفراد بغية الحصول على منتجات مختلفة، يستغل فيها مواد أولية توفرها البيئة المحلية بطرق تقليدية. يعتمد فيها الحرفي على مهاراته الذهنية واليدوية المكتسبة زاد من صقلها مع الممارسة اليومية معتمدا في ذلك على وسائل عمل بسيطة، وهي من أقدم الحرف التقليدية لأنها ترجع إلى التاريخ القديم، مارسها سكان الريف بشكل خاص، وفي هذا الإطار يدور موضوع الدراسة الموسومة بـ" **الحرف في عمالة وهران إبان الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية** ".

يعتبر موضوع هذه الدراسة من المواضيع الجوهرية كونه يسلط الضوء على قطاع شكل عصبا اقتصاديا رئيسيا بعد الزراعة في الجزائر قبل الاحتلال، ومصدر دخل ثابت للأسر الجزائرية، فهو مرآة عاكسة لقدرة الجزائريين على التفاعل مع الطبيعة التي وفرت مواد أولية مختلفة ظاهرية وباطنية، وتمّكن من تحويلها إلى مصنوعات تناسب حاجيات المجتمع، فقد اشتهرت الجزائر بمصنوعات راقية ومتنوعة، كانت تلقى اهتمام وطلب محلي، ومحط إعجاب الأجانب.

ومع أهمية هذا القطاع تضاربت حوله أراء المؤرخين الفرنسيين، فمن قائل بأنه قطاع متخَلف لا يمكن أن يرتقي إلى صناعة حقيقية، وأخذ بهذه الفكرة رواد الاحتلال الذين اعتمدوا على سوء الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع، إلى معترف بتطوره كونه نشاط كان يتماشى وحاجيات السكان المحلين، ولدراسة الموضوع ارتأينا الاعتماد على الإشكالية التالية: هل كان النشاط الحرفي في الجزائر ضمن اهتمامات السياسية الاقتصادية الفرنسية ؟ وما هي المجالات التي أولاها اهتماما كبيرا ؟

واعتمدنا على الفرضيات التالية:

- طبيعة الأنشطة الحرفية التي وجدت في الجزائر قبل الاحتلال.
- تأثير السياسة الفرنسية على هذا القطاع.
- الإشراف الفرنسي على الأنشطة الحرفية المهمة.

يهدف البحث إلى معرفة النشاط الحرفي في الجزائر واعتباره مصدر دخل أساسي للعديد من الأسر الجزائرية ومدى مساهمته في توفير متطلبات السوق الوطنية وحتى الأجنبية، ونبين طرق مصادرة المستوطنون لهذا القطاع وتحويله من النمط التقليدي إلى قطب عصري بالاعتماد على اليد العاملة الجزائرية مع بناء مؤسسات صناعية كبرى وإدخال وسائل عمل حديثة كالآلات العصرية، واعتمدنا في البحث على المنهج التاريخي المبني على الوصف والتحليل والمقارن والاستنتاج، وتوصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها رغبة المحتل في الاستحواذ على كل مصادر رزق الجزائريين وجعلهم تابعين لهم بشكل مطلق.

1- أنواع النشاط الحرفي:

شمل النشاط الحرفي مجالات عدة اجتماعية، اقتصادية وتجارية ويمكن تقسيمه إلى:

1.1- حرف عائلية:

هو نشاط مهني مارسته الأسر في المنزل، يتشارك فيه كل أفراد الأسرة، يمر بمرحلتين: هما التصنيع، مخصص للنساء، أما البيع وهو الجزء المخصص للرجل.[1]

2.1- حرف تقليدية:

هي نتاج تعاقب حضاري تواصل عبر مختلف الأجيال، وهو مزيج بين الطراز المغربي والمشرقي، فظهرت حرف محلية خاصة بالمجتمع الجزائري، ويلاحظ هذا من خلال احتفاظ كل جهة من البلاد بخصوصية في حرفة محددة مقسمة بين حرف عائلية وأخرى قبلية، وهذا حسب النظام الاجتماعي الذي كان سائدا في كل منطقة.[2]

3.1- حرف يدوية:

يفضل المجتمع الجزائري الصناعة الحرفية اليدوية لأنها كانت تمتاز بالإتقان والجودة العالية.[3] إن الإنتاج اليدوي الحرفي يقدم إنتاجا استهلاكيا مختلفا، فلا يمكن أن نجد تشابها في مختلف المصنوعات الحرفية، يلاحظ هذا في النسيج فكل زربية مثلا تختلف عن أخرى وهذا ما أعطاها ميزة خاصة، قيمة نادرة ذات ميزة عالية.[4]

2- السيطرة الفرنسية على النشاط الحرفي:

سيطر الفرنسيون على القطاع الحرفي وتمّ تقسيمه إلى قسمين، حرف أساسية ظلت تقليدية، أدخلوا عليها بعض التغييرات، وأخرى ثانوية تمّ تحويلها إلى نشاط صناعي ذو بعد تجاري.

يدخل ضمن هذا النشاط عدة مهن موزعة ما بين الريف والمدينة، غلب عليها الجانب الفني الجمالي المرتبط بالحرف التقليدية المتطورة من حيث تقنيات العمل،

---

1 - Archive Outre Mer, Gouvernement Générale Algérien, 14 H /36-37, Service artisanale, De bois Hebert, Note sur le Rôle de la maison de l'artisanat, 1932.
2 - AOM, GGA, 14 H /36-37, Service artisanale, Op Cit, P 05.
3 - AOM, GGA 14 H /36-37, Ibid, P3.
4 - AOM, GGA 14 H /36-37, Ibid.

كانت تخدم بشكل أساسي المجتمع الجزائري والأقلية من الأوروبيين. ظل هذا النشاط مرتبط بالزراعة بشكل خاص، وتضمن عدة فروع أهمها:

1.2- الحرف الأساسية: شملت عدة أنشطة أهمها:

1.1.2- الدباغة:

نجد فيها عدة أنشطة أهمها حرفة الدباغة التي شكلت حرفة قائمة بذاتها، ضمت عددا كبيرا من الدباغين الذين اجتمعوا في "درب الدباغين"، تغير الوضع بعد الاحتلال، فانخفض عددهم، وأغلقت العديد من المحلات، وتحوّل ما تبقي منها إلى مؤسسات صناعية خاصة بالأوروبيين.[5].ظهرت على إثرها مؤسسات حرفية حديثة ذات طابع عصري.

أدرجت هذه الحرفة ضمن مشاريع فرنسا الاقتصادية، فتأسست مجموعة من المدابغ العصرية التي استخدمت الآلات الحديثة.[6]

1.1.1.2- صناعة الجلود:

وجدت ورشات استخدمت الجلود لصنع الأحذية، الحقائب، السروج وحرفة الطرز، وجدت ورشات ضمت مُعلم وعددا من الحرفين والمتربصين، تراجع عددهم سنة 1880 ليبقى ثلاثة حرفيين سنة 1910، [7] كما تّمَ إحصاء عشرون ورشة سنة 1930 ، ضمت 200 حرفيا مجتمعين في خمسة مؤسسات كبرى، بقي منها عشرة ورشات تعمل بالتداول، ومع أهميتها إلاّ أنها كانت تعتمد على الطرق التقليدية، مع بعض المحاولات الفرنسية الفردية الغير الرسمية من أجل تطويرها كاستيراد الخيوط، وإدخال الآلات.[8]

جاء أول تدخل رسمي من قبل إدارة الاحتلال من خلال تبني تقنيات أوروبية، ووضع هيئة نظامية تشرف على منح القروض للحرفين، لكنها أدت إلى تدهور حالتهم بعد أن عجز البعض عن التسديد فتخل العديد منهم على نشاطهم، وبيعت ورشاتهم إلى

Touati(H), l'0ranie colonisée, économie, société et acculturation, 1881-1937, T1, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, université de 5-Nice, 1984, P 161.

6 -AOM, GGA 14 H /36-37, Service artisanale, Op Cit, P3

7- Touati (H), Op. Cit, P 160.

8- Girault (A), Principe de la colonisation et de législation coloniale, lib de recueil serey, Paris, 1938, P 191.

الأوروبيين الذين حولوها إلى مساكن أو محلات تجارية، في حين واصل ما تبقى منهم العمل في ظروف صعبة. [9]

انتقلت الحرف من مهنه محلية إلى نشاط صناعي عصري، فظهرت المصانع الكبرى التي تشغل عمال مؤهلين ومتخصصين، وفّرت إنتاجا متنوعا وجديدا سيطر على السوق المحلية، أدت إلى تغير عادات الجزائريين في اللباس، فانتعل الجزائريون الأحذية الفرنسية. وبعد انتشار المصانع الحديثة في العمالة فكرت إدارة الاحتلال في إقامة تعاون بين الحرفين الجزائريين والفرنسيين، فاليد العاملة المحلية المتخصصة موجودة والمواد الأولية أيضا متوفرة، وما ينقص هنا هو إقامة شراكة بين المجتمعين.[10].وتمّ إدخال عدة ترتيبات أهمها:

- إعادة تنظيم الإنتاج حسب الفصول.
- توفير المواد الأولية و مراقبة النوعية.
- إصلاح عمليات البيع التي كان يشرف عليها الدلال في السابق.
- تدخل الدولة من خلال تقديم القروض، وتوجيه الطلبات الخاصة للجيش والمستشفيات.[11]

2.1.1.2- حرفة الطرز:

وجدت أيضا حرفة الطرز على الجلود وهي حرفة رجالية وراثية، كان لأصحابها مكانة اجتماعية خاصة [12] تقوم على طرز الجلود بخيوط ذهبية وفضية، خاصة طرز السروج وأغمدة السيوف والخناجر وأحزمة البنادق وتجليد الكتب، [13] تراجع هذا النشاط بعد الاحتلال لعدة عوامل أهمها:

- المنافسة الخارجية خاصة من قبل المستعمرات الفرنسية خاصة الدول المجاورة.
- تراجع عدد السياح بسبب الاضطرابات وبالتالي تراجع عدد المبيعات.
- ارتفاع أسعار المواد الأولية بسبب استيرادها من فرنسا بشكل خاص.

9-AOM, H /14 H /36 et 37 Service artisanale, Op Cit, P3.
10- AOM, H /14 H /36 et 37, Ibid .
11- Azane (P), L'artisanat en Oranie, P 112.
12- Démontes (V), Algérie industrielle et commerçantes, collection du centenaire de l'Algérie,(1830-1930) Larose, Paris, 1930, P 50.
13 - Azane (P), Op Cit, P 112.

- ازدياد المضاربة ووجود الوسطاء بين البائع والمشترى.[14]

نتج عن تدخل الفرنسيين في هذا النشاط أزمة فعلية انعكست على وضع الأنشطة الحرفية المحلية، فتراجع عدد الحرفين والعمال، ففي سنة 1931 أصبح ثلث العمال والمقدر عددهم بخمسة إلى ستة مائة مجرد عامل يومي أو موسمي، وهذا يعني تراجع الأرباح مما جعل مالكي الورشات غير قادرين على الحفاظ على اليد العاملة.[15]

2.1.2- حرفة النسيج: تستخدم مواد أولية متنوعة من صوف، شعر الماعز وبر الجمال وبعض النباتات البرية، نجد فيها:

- **النسيج:** اشتهرت بها العمالة خاصة مدينة تلمسان، تعتمد على غزل الصوف والقطن والحرير، وقد مارس سكان المدن نسيج الحايك والبرنس الذي استخدم فيه الصوف الناعم، ولقيت رواجا في الأسواق الخارجية، رغم انخفاض عدد ممارسيها[16].

ومع نهاية القرن بقيت حوالي 200 ورشة[17] وأرغم البقية على تغيير نشاطهم، وحسب الإحصاء الرسمي للإدارة الفرنسية لسنة 1910 فإن النتائج كانت كالتالي: 106 ورشة شغّلت إحدى عشر عاملا متخصصا في لف الخيوط، وثلاثة وخمسين عاملا موزعين على مائتين ورشة، وأربعة معلمين بالإضافة إلى بعض العمال والمتربصين.[18]

لم يكن حالة هذه الحرفة بالجيدة فإلى غاية سنة 1898 واصلت نشاطها بالطرق التقليدية، كانت في أغلبها ملكا للكراغلة أو لسكان المدن الذين كانوا يديرونها بشكل غير مباشر، وقد اجتمع مجموعة من المعلمين في تعاونيات حرفية في المدينة.[19]

ومع تعاون بعض الحرفين فيما بينهم فإن معظم الحرفين كانوا يعملون بشكل فردي ولحسابهم الخاص مع غياب ظاهرة التخصص في العمل.[20]

كانت الزرابي أهم منتجات النسيج، وقد عرف تطورات عديدة خاصة مع القرن الثامن عشر، فقد كانت المواد الأولية متوفرة أهمها الصوف، والصبغة الطبيعية والتي

14– Démontes (V), Algérie industrielle, Op Cit, P 50.
15-Ricard (P), AOM, 3Cab 38, Rapport sur l'artisanat t, P 17.
16- Touati (H), Op Cit, P 160.
17 - مبارك الميلى، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 316.
18- AOM 14 H /16 statistique économique de l'Algérie, 1910.
19- Touati (H), Op Cit, P 159.
20- Azane (P), Op Cit, P 116.

كانت تستخرج من بعض الأعشاب البرية، بالإضافة إلى اليد العاملة التي كانت تحوّل الصوف من مادة خام إلى خيوط رفيعة ناعمة قابلة للنسيج.[21]

حدثت تغيرات عديدة عليها بعد استخدام الآلات، وهنا كان لابد من الاعتماد على الرجال لتشغيل مصانع النسيج، وهذا لا يعني التخلي الكلي عن الزرابي التقليدية بل بالعكس، فقد تمّ الحفاظ على الطراز المحلي مع إدخال تغييرات في تقنيات ووسائل العمل، فنجد استبدال المشط المعدني بأخر مصنوع من قصب، والأنيار المعدنية بأخرى من خيوط، والاعتماد على الخيوط المستوردة من الخارج بدل خيوط الصوف التي كانت تغزلها النساء، فالخيوط الجديدة تمّ غزلها بآلات ومصنوعة من الصوف أو خيوط رفيعة لينة، وأصبحت واسعة الاستخدام مقارنة مع الصوف المغزولة يدويا، وقد انتشرت هذه الصناعة في عدة مناطق أهمها تلمسان، ندرومة، ومازونة.[22] كانت تصنع من أجل الاستخدام المنزلي فكانت تفرش بها القاعات والمساجد، يبلغ طولها من أربعة إلى خمسة أمتار وعرضها من 1.50 إلى 1.60م، وكانت أسعارها مرتفعة خاصة الزرابي ذات الألوان السبعة.[23]

لقد أوجدت هذه صناعة فرص عمل للرجال وكانت مهمتهم تقتصر على استخراج الصبغة وصبغ الصوف، أما النساء فكانت تختار الصوف وتغسله وتحوله إلى خيوط ناعمة لتأتي مرحلة السد والنسيج واختيار الألوان والأشكال الهندسية الدقيقة التي تتطلب عمليات حسابية وذهنية تعكس مدى مهارة محترفيها.[24] وعلى الرغم من مدى قيمة هذه المصنوعات فقد تراجعت وحلّت محلها صناعة عصرية تقتصر إلى كل ما هو روحي، صناعة تعتمد على توفير كميات هائلة من الزرابي دون مراعاة النوعية، الهدف منها هو الربح، وهذا يعني بداية تحويل الاتجاه الصناعي المحلي نحو اقتصاد السوق وعليه فقد أخذت مميزات الصناعة المحلية تختفي أمام الزحف النسيجي الفرنسي.

ولم يقتصر التحول عند هذا الحد، بل حتى من حيث الفئة المحتكرة لهذا النشاط، بحيث نلاحظ دخول الرجال إلى عالم النسيج من الباب الواسع خاصة بعد إدخال الآلات الميكانيكية ذات الحلقات أو السلاسل، وقد كانت المصانع الأوروبية تستخدم النساء في العمل وكنّ يخضعنّ لأوامر مشرف خاص، ومع أن صناعة الزرابي كانت تقليدية في البداية إلا أنها كانت متقنة، ويمكن أن تقسم إلى قسمين: حرفة نسائية في الريف، وحرف خاصة

21- Démontes (V) Algérie industrielle, Op Cit, P 54.
2- Merad Boudia (A), Op Cit, P 161.
23 - Ibid, P 393
24- Ibid.

بالرحل أو أنصاف البدو، ولهذا فقد كانت وسائل عملهم بسيطة وخفيفة سهلة الحمل والتنقل، كانت تصنع محليا وقت الحاجة، وكانت كل نساء الريف تتقن تنظيف الصوف وتتفنن في غزله ونسجه وصبغه، تصنع منه الألبسة، الخيام والزرابي التي كانت من ضروريات الحياة الريفية الخاصة بالعائلة، فهي تزين الخيمة وتعتبر الأثاث الأساسي لأنها توفر الأفرشة والأغطية.[25]

أما النسيج الخاص بالمدن فقد كان رجاليا، فنجد العديد من الورش الخاصة بنسيج الزرابي والأغطية والأفرشة، وكانت هي الأخرى وراثية بحيث نجد أسره بكاملها تهتم بهذا النوع من الحرف، وهي الذي شهدت تحولا كبيرا بحيث تمّ إقامة مجموعة من المصانع الميكانيكية الخاصة بالنسيج والتي كانت تشّغل النساء والرجال معا.

وهنا نلاحظ تناقضا في بعض التقارير الفرنسية بين فكرتين مختلفتين: تركز الأولى على أن الحرف في العمالة هي من تخصص الرجال وليس النساء، وهذا ما جاء في تحقيق سنة 1924 حول الحرف في الجزائر، وحسب صاحب التحقيق فإن خروج المرأة للعمل هو نتاج السياسة الفرنسية، فقد أرغمت الظروف الاقتصادية الصعبة المجتمع على تنوع مصادر دخله والسماح للمرأة بالعمل، ومهدت لهذا بإقامة مؤسسات تعليمية منها مؤسسة الأخوات للإحسان التي بدأت في تكوين المرأة طرقا عصريا للخروج للعمل في المصانع الخاصة بالنسيج.[26]

أما الرأي الثاني فكان يرى أن الحرف في الجزائر هي حرف نسائية سواء في المدينة أو الريف، فالنساء يقضين أوقاتهن في النسيج والطرز من أجل الاستخدام اليومي أو من أجل البيع؛ أي هو مصدر دخل إضافي، في حين كان الرجال يقضون معظم أوقاتهم في المقاهي والأسواق.[27]

وبين هذين الموقفين نرى عمل المرأة حقيقة اجتماعية ثابتة سواء في الريف أو في المدينة، مع التركيز على فكره عمل المرأة في الريف كان أمرا ضروريا، فهي تعمل على توفير بعض متطلبات أسرتها الملحّة إلى جانب بيع بعض منتجاتها في الأسواق الداخلية أو في المدن، أما الحرف في المدينة فقد كانت في غالبيتها من أجل الاستخدام الشخصي، مع ذلك كن يخصصن جزءا منه للبيع، فبحكم عادات وتقاليد المجتمع الجزائري لم يكن

25- Demontés (V), Algérie Industrie, Op Cit, P 55.
26-AOM, GGA 14 H/ 32 enquête du 1en juin 1924, P 1
27-AOM, GGA 14 H/ 32 enquête Du GG, 28 juin 1920 et 1923 PP 18-19.

يخلو جهاز العروس من الأغطية الغليظة أو النصف غليظة، أو الأغطية المعروفة في الوسط الجزائري باسم "الحنبل" وهو فراش أساسي لكل أسرة وعائلة في الريف والمدينة على حد سواء، مصنوع من الصوف المغزول والمزركش والذي لقي رواجا كبيرا حتى من قبل الأوروبيين، إلى جانب الأحزمة والأنسجة المخصصة لصنع الألبسة، والسراويل المطرزة ذات الطراز التركي،[28] كانت تريدينه النساء في تلمسان، وإلى جانب هذا النشاط نجد مهنة الطرز على القماش، وهذا ما ساعد على استمرار هذه الأنشطة الحرفية في المدن على نطاق الأسرة؛ أي أنها حرف عائلية نسائية، ونجدها في عدة مناطق أهمها تلمسان، مستغانم حيث سادت صناعة الزرابي والأغطية والحايك.[29]

وإلى جانب تلمسان نجد زرابي قلعة بني راشد التي امتاز نسيجها بالرقة والنعومة ذات الأطراف المقصوصة والمزخرفة بشكل جميل وبطابع خاص، نجد فيها الطراز الأمازيغي وحضارات الشرق بسبب التواجد العثماني في المنطقة إبان القرن السابع العشر،[30] علما أن هذه الزرابي قد وجدت من قبل أي في القرن 15، وكانت جد مطلوبة في الأسواق الأوروبية رغم منافسة الزرابي العثمانية والفارسية لها.[31]

وكانت تتسم بطابعها المميز؛ فأشكالها الهندسية صغيرة وجميلة يغلب عليه اللون الأصفر والبرتقالي والأبيض، تشبه زرابي جبال أولاد عمور، وهي نماذج تنتمي إلى منطقة المغرب ذو الأصل البربري مع إضافة ألوان أخرى كالأحمر والأخضر والأسود مما أعطاها طابعا مميزا.[32]

ومع مميزاتها فقد عرفت عدة مشاكل، بسبب تراجع عدد الورشات ولم يبق منها إلاّ مائة وخمسين ورشة تشغل حوالي 250 امرأة، ومع استمرار عملها فقد تراجع الطلب عليها وأصبحت لا تلقى رواجا إلا في أوساط الجزائريين رغم إنتاجها النوعي والرفيع الذي يتميز بالتماسك والمتانة والدقة والجمال ومع ذلك فقد.[33]

---

28 - كان هذا النوع من السراويل واسع الانتشار في عدة مناطق مثل الجزائر، البليدة، شرشال، والمدية، وغيرها.

29- Azane (P), Op Cit, P 116.
30- Ibid, P 129.
31- AOM, GGA,14 H /32, AOM, 3Cab 38, Rapport sur l'artisanat, P 03.
32- Azane (P), Op Cit, P 129.
33- AOM, GGA, 14 H /32, AOM, 3Cab 38, Op Cit, P 03.

كما اشتهرت منطقة جبل عمور بالزرابي خاصة منطقة تريزل التابعة للبلدية المختلطة لجبل عمور، فقد كانت ذات أشكال هندسية متعددة لها قيمة فنية عالية، ألوانها مختلفة نجد فيها بشكل خاص اللون الأحمر والأزرق الذي يوضع بشكل مخالف مع تداخل اللون الأحمر، مطلوب كثيرا لدى الجزائريين، يتم عرض هذا المنتج في أسواق تريزل، أفلو والبيض، وقد ضمت هذه الأسواق عدة أنواع قد تصل إلى أربعة ألاف نوع، قدرت قيمتها بخمسة مائة فرنك، وانتشرت في الهضاب العليا الغربية وقد وصلت شهرتها إلى غاية المغرب، أما داخليا فوصلت إلى عمالة الجزائر وتوغلت إلى مشارف الصحراء. [34]

أوجدت حرفة النسيج قطاعات حرفية أخرى أهمها الخياطة التقليدية التي تعتمد على تفصيل قطع النسيج لصناعة الألبسة كالجلابة، البرنس والسراويل، كانت واسعة الانتشار لكنها تراجعت بشكل كبير. [35] بسبب سيطرة الأوربيين على الأنشطة المحلية، وعدم ملائمة الألبسة التقليدية الأنشطة الاقتصادية الفرنسية الجديدة بعد خروج المرأة للعمل في المصانع. لقد أثّر النشاط الأوروبي على مسار الحرف المحلية فحاول بعض الجزائريين مسايرة التقنيات الحديثة وتبني الطراز الجديد فالتحق البعض منهم بالمعاهد الفرنسية لتطوير مهاراته، وسافر البعض الأخر إلى فرنسا للالتحاق بمدارس الخياطة الكبرى.[36]

2.2- الحرف الثانوية: نجد على رأس الحرف التقليدية عدة مهن تساهم في توفير متطلبات الجزائريين اليومية أهمها:

1.2.2- صناعة الفخار:

صمدت صناعة الفخار في وجه المصنوعات التي أدخلها الفرنسيون، وهذا بسبب دورها الاجتماعي فقد كانت توفر اللوازم الضرورية اليومية وبأسعار منخفضة. [37]

ومع أهميتها فقد ظلت بسيطة من حيث طريقة صناعتها، تعتمد على الطين الذي يخلط بالماء للحصول على عجينة رطبة الملمس تصنع منها أواني منزلية بشكل خاص، كانت من اختصاص النساء بشكل، كانت بسيطة من عيث الصنع والزخرفة لأنها موجهة

34- Azane (P), Op Cit, P 129.
35-Azane (P), Ibid, P 121.
36- Ibid, P 121- 122.
37- Azane (P), Op Cit, P 121.

للاستخدام اليومي، فكانت خشنة الملمس وثقيلة،[38] ففي ندرومة وعدة مناطق من الجزائر واصلت العمل بالدولاب[39] وهو عبارة عن قطعتين خشبيتين دائرية الشكل متصلة مع بعضها بعمود أفقي نحرك الدولاب السفلي فيتحرك الدولاب العلوي الذي توضع فيه كمية من الطين المعالج، ويتفنن الحرفي في صنع أواني فخارية مختلفة، بعدها يتمّ نقل الفخار المصنوع حديثا إلى أفران بسيطة تتكون من طبقتين، توضع في الأولى الحطب وفي الطبقة الثانية الفخار، ويتم طهي الفخار مدة زمنية طويلة حتى يجف. توجد طريقة أخرى في صناعة الفخار هي بدائية تقوم على إحضار الطين وتفتيته وعجنه واستخدام الدولاب في عملية الصناعة، ويتم وضعه في أفران بسيطة، عبارة عن حفر توضع في الأرض تملئ بالحطب ثم ترس الأواني الفخارية بعدها، وهذا يعني أنها تكون محتكة بالنار مباشرة، ويوجد طريقة أخرى لهذه الصناعة هي يدوية بسيطة تغيب فيه الوسائل رغم بساطتها بحيث يثبت الطين المعجون في حامل وتشكل منه مصنوعات مختلفة ولا ينزع منها إلا بعد أن تجف الآنية، ليتم بعدها تجفيفها في العراء، فيتم وضع الأواني المختلفة في وسط النار وهذا يعني غياب الفرن.

توجد ثلاثة طرق مختلفة لصناعة الفخار في الجزائر، الطريقة الأولى والثانية خاصة بالرجال أما الثالثة فهي حكرا على النساء، وبالرغم من بساطتها فقد شكلت صناعة الفخار إحدى أعمدة الصناعة الحرفية خاصة في الريف حيث إستخدم الطين في مجالات عدة منها البناء والأواني المنزلية وللتخزين، ومع أهميتها فقد كانت بسيطة تفتقر إلى القيمة الجمالية وخالية من الرسوم وغير ملونة، وحتى و إن وجدت فقد كانت بسيطة تمثل بعض الخطوط الهندسية المختلفة، وكانت المرأة الريفية تتحمل مشقة تزين أوانيها اليومية عكس الرجل، فنجدها تستخدم اللون الأحمر والبني، والاعتماد على مجموعة من الخطوط الهندسية التي هي في الأساس تدور حول الخط المنكسر.

ولم تكن صناعة الفخار لتلبية حاجيات الأسرة فقط بل خصص قسم منها للتسويق، يتم نقلها على ظهور الحيوانات، تباع بالتجزئة في السوق بقيمة 25 سنتم للقطعة الواحدة، وهذا يعني أن هذه التجارة لم تكن مربحة ولكنها كانت تغطي جزء بسيطا من حاجيات أصحابها، وتضمن لهم دخلا دائما لأنها هشة وسريعة التكسير مما يستدعي شراءها أكثر من مرة خاصة الصحون، الجرار، مصابيح الزبيب وغيرها، ومع دخول الفرنسيين تراجعت هذه الصناعة بسبب منافسة الفخار والسيراميك الفرنسي رغم

38- أنظر في هذا الشأن كتاب غزال ستيفان حيث يصف لنا شكل الأفران المستخدمة في صناعةالفخار.

39- Azane (P), Op Cit, P 121.

ارتفاع أثمانها، إلى جانب ذلك إدخالهم لمجموعة من المنتجات المعدنية والخشبية الصلبة والزجاج، فاستغنى الجزائري عن إستخدام الطين وعوضه بالزجاج والمعادن والخشب الصلب التي يتم جلبها من المدن.[40]

ومع هذا واصلت بعض الأسر في استخدام وصناعة الفخار بالرغم من التحولّ العام الذي عرفته الجزائر في كل المجالات بعد الاحتلال.

2.2.2- صناعة السلال والسعف:

هي صناعة مرتبطة بوفرة المواد الأولية وبشكل مجاني، فمادة الحلفاء والقصب وأوراق النخيل متوفرة، استخدمت في صناعة مجموعة من الأدوات التي تدخل في إطار الحياة اليومية مثل السلال الدائرية الشكل التي تستخدم في جمع الغلال السريعة التلف أو أقفاص الدواجن والطيور، وحين تكون المادة الأولية خضراء فتستخدم لصناعة سلال خاصة بالفاكهة، بعد أن يتم معالجته من خلال تليينه. تشكل منه أحزمه تتكون من 3 إلى 5 إلى 7 ضفائر تجمع مع بعضها لتصنع منها القفاف والسلال العادية وسلال الدواب، كما يصنع منها المظلات التي تقي حر الشمس، تكون عالية وعريضة الجوانب، أسعارها مختلفة رخيصة في مناطق مثل عمى موسى، وغالية في مناطق أخرى مثل المنطقة الممتدة ما بين تلمسان وندرومة لأنها مصنوعة بدقة، ولهذا فكان سعرها ما بين 60 إلى 100 فرنك، وقد لاقت رواجا كبيرا، و ضمنت راتبا سنويا وصل إلى 100.000 فرنك. أما أوراق النخيل فقد كانت تصنع منها السلال والأقفاص بكل الأشكال والأحجام، وانتشرت من البلدية المختلطة سبدو إلى بني عباس والعرق الغربي الكبير إلى جانب صناعة المروحيات المستخدمة بشكل خاص في الصحراء.[41] لقد عرفت هذه الصناعة تطورا ملحوظا خاصا في العمالة، امتازت بالجودة والدقة والقيمة الجمالية، فإذا كانت الضفائر في عمالة قسنطينة غليظة خشنة وعريضة وسميكة، يستخدم فيها اللون الأبيض والأسود، فإن ضفائر الجريد في العمالة امتازت بالليونة والدقة والألوان العديدة، وقد تطورت هذه الصناعة حيث تم المزج بين الحلفاء والجريد والصوف، واشتدت المنافسة فيما بين الحرفيين وأخذ كل واحد يتفنن في مصنوعاته وانتشرت بشكل خاص في عدة مناطق منها: منطقة الخميس، بني عشير، مازونة، أولاد العربي، أولاد موسي، بني حمو،

40 - Azane(P), Op Cit, P 124.
41 - Merand Bondia (A), Op Cit, P 163.

وبني بوسعيد.[42] وكان لهذه الحرفة سوقا خاصا في منطقة الخميس، وتحّول في فترة الثلاثينات إلى منطقة تلمسان،[43]

ودائما في نفس المجال وجدت حرفة أخرى خاصة بصناعة الحلفاء والضفائر التي وجدت بشكل أساسي لدى قبيلة بني زناسن، وبوطالب، حيث كانت تصنع الزرابي من الحلفاء تستخدم بشكل خاص في الريف تعرف بالحصيرة، وقد وجدت إقبالا واسعا حتى من قبل الفرنسيين بسبب جودتها وألوانها،[44] كما نجد مصنوعات أخرى دائما من النباتات وهي منسوجات الديس، وهي الأخرى حرفة يدوية قديمة تخصّ كل فئات المجتمع كبار السن وحتى الصغار والرعاة، وتعتمد على نبات الديس أو الدوم، وهو نبات واسع الانتشار، ولهذا فقد إستخدم على نطاق واسع، وكان يصنع منه المظلات والقفاف، والحصائر، وقد كانت تلقى رواجا لوفرتها وانخفاض أسعارها، إذ لقيت إهتمام بعض المدارس الحرفية كونها كانت تشكل مصدر رزق بعض العائلات.[45]

وهناك الحرف الخاصة بالمعادن الحديدية والغير الحديدية، وهي حرفة قديمة ومع قدمها ظلت بسيطة لا تتعد صنع وسائل عمل بسيطة تستخدم في الحياة اليومية في المدينة أو الريف، فنجد الحرفيين الجزائريين يعملون على صنع المحارز، السكاكين، سكك الحرث، العربات، إلى جانب حدوه الأحصنة والبغال، عمل الحدادون على إذابة الحديد وصنع أدوات عديدة منه.[46]

أما المعادن الأخرى كالنحاس، فقد كان قليل الاستخدام نجده في بعض المراكز الكبرى مثل مدينة تلمسان حيث كان يصنع منه المصابيح، والعلب وأشياء أخرى، إلى جانب استخدامه لتزين الأبواب والنوافذ، وقد صمدت هذه الصناعة إلى غاية فترة الثلاثينات.[47]

كما تواجدت بشكل خاص في جنوب العمالة خاصة في منطقة توات أين كان يصنع من النحاس المطرقة، وهو تقليد خاص بالصناعة النحاسية المنتشرة في المغرب، أما عن الفضة فقد كانت موجه للحلي في الريف والمدينة، وعلى الرغم من انتشارها الواسع فإننا

---

42 - Azane(P) Op Cit, P 126.

*- كانت ضفائر بني بوسعيد أكثر ليونة و جمالا تباع ما بين 60 إلى 75 فرنك.

43 - Azane (P), Op Cit.

44 - AOM, 14 H /36-37, Op Cit .

45 - AOM, 14 H /36-37, Ibid.

46 - Azane (P) Op Cit, P 125.

47 -Demontés (V), Algérie industrielle, Op Cit., P 53.

نلاحظ سيطرة اليهود على هذا المجال، وقد كانت تمتاز بالبساطة رغم تطورها في عمالة الجزائر.[48]

وقد أشرف اليهود الأوائل في الجزائر على صناعة الحلي الفضية وحتى الذهبية، فانتشرت المجوهرات الفضية والذهبية أهمها الخلخال والأساور، الحلقات والسلاسل، والبزيم، وقد وجد في عمالة وهران حوالي 129 ورشة خاصة بالحلي الفضية والذهبية.[49]

3.2.2- حرفة البناء:

هي حرفة قديمة، خصت توفير بعض المواد الأولية الموجهة للبناء ومنها صناعة الأجر، الذي كان يمتاز بجودته وصلابته، واستخدم بشكل خاص في بناء الأعمدة، وإلى جانبه نجد صناعة الحجر بالقرب من المنصورة وتلمسان، وقد كان يتم صقل الحجر وإستخدامه في عملية البناء، إلى جانب استخدام مادة اللونيكس المستخرجة من المناجم، خاصة تاقبلات بالقرب من تلمسان، وتشمل أيضا هذه الصناعة مجال أخر هو صناعة الطوب المخصص للبناء، ويتم صنعه من الطين والقش، ويتم إستخدامه أيضا لتلبيس جدران الساحات والأماكن الخاصة للاستراحة، وقد إشتهرت مدينة تلمسان أيضا بصناعة الجبس الذي امتاز بدقته ونعومته، وكان يستخدم في زخرفة المساجد وقاعات المدارس والقصور والمساكن، كما استخدم في صناعة تيجان الأعمدة.[50]

لقد كانت حرفة البناء جد متطورة وراقية، يمزج فيها العديد من المواد الأولية مثل المعادن خاصة مادة البرونز التي كانت جد مطلوبة لتزين المساجد، مثل مسجد سيدي يوسف، وحتى المنازل، كما نجد استخدم الخشب في صناعة الأبواب والنوافذ ومنابر المساجد، وكان يتم المزج بين المعادن والخشب في صناعة الأثاث، وهذا النوع من الحرف هو عريق الوجود، إستخدم منذ الفترات التاريخية القديمة خاصة في العهد الفينيقي.[51]

وعموما تم مزج مواد مختلفة في البناء، فنجد الأجر والطين، والحجارة والجبس والخشب وحتى المعادن، هي محلية ضرورية في البناء، يستخدمها الحرفيون المهرة،

48 - Azane (P) Op Cit, P 125.
49 - AOM, statistique industrielle le d'Algérie, 1925.
50 - Azane (P) Op Cit, P 125.
51 - Gsell Stéphane, histoire ancienne du nord, T1 : les conditions du développement historique, les temps primitifs, la colonisation Phénicienne et le temps de Carthage, Lib Hachette, Paris, 1913.

وقد إتخذ البناء عدة أشكال هندسية دالة على أصول المجتمع الجزائري نجد فيها البعد البربري الإسلامي كالمربعات، المضلع المنطوي، الأعمدة، القبب، إلى جانب الاعتماد على زخرفة متنوعة ذات ألوان عديدة، كانت تعكس إرث الجزائر الحضاري المتميز.[52]

وكان الحرفي المتخصص في البناء يجتمعون في شوارع خاصة، يحمل كل شارع إسم خاص، كشارع الخشابين مثلا، غير أن هذه الظاهرة قد اختفت وتغيرت معالمها العمرانية في مختلف المدن الجزائرية، وبتراجعها فقد المجتمع حرف يدوية لطالما كانت إحدى السمات الأساسية للنمط العمراني في الجزائر.[53]

حاول بعض المهتمين بهذا المجال إعادة إحيائها للحفاظ على المعالم الأثرية المتبقية فأولى عمليات الترميم رعاية خاصة واستعان ببعض الحرفيين للبدء في جرد الأماكن الواجب العناية بها، كما قام أحد المهتمين وهو السيد قلفاط بإقامة شبه مدرسة خاصة بتكوين الحرفيين المتخصصين بالترميم،[54] وبالرغم من المحاولات الجزائرية الفردية فإنها لم تتمكن من الوقوف في وجه منافسة المهندسين الأوروبيين، واستخدموا مواد بناء جديدة، وتبنوا طراز هندسي جديد فتراجع الطلب على الموارد المصنوعة محليا، فانخفظ أسعارها بالمقابل ارتفعت قيمة الضرائب المفروضة على الحرفيين، هذا ما أدى إلى اختفاء حرفة البناء المحلية تدريجيا كونها لم تعد مربحة بل أصبحت مكلفة فقط.

4.2.2- صناعة الخشب:

هي صناعة بسيطة ويمكن تقسمها حسب أهميتها إلى صناعة المدنية خاصة بالتجهيزات المنزلية كالأثاث المنزلي منها النوافذ والكراسي والطاولات والصناديق والخزائن وغيرها من المصنوعات التي يجب تواجدها بالمنازل، وأخري خاصة بالبناء.

غالبا ما كانت هذه المصنوعات موجهة للفئة الميسورة نسبيا، لأن الفئة المقتدرة كانت تستورد بعض الأثاث من الخارج خاصة من إسبانيا، مع موجود بعض المحاولات الفردية التي قام بها بعض الحرفيين من أجل تطوير صناعة الأثاث، ومن أبرز ممثليها محمد عبد الله هامش الذي حاول اقتباس بعض التقنيات الحديثة في هذا المجال خاصة فيما يخص الأثاث المنزلي العصري المستنبط من العادات والتقاليد ومع هذه المحاولات فإن المنافسة الفرنسية كانت قوية حالت صمود صناعة الخشب المحلية.[55]

---

52 - Azane (P) Op Cit, P 103.
53 - Azane (P) Op Cit, P 104.
54 - Ibid, PP 104 105.
55 - Merad Boudia (A) Op Cit, P 163.

ومع هذا الوضع تمكنت هذه الأخيرة من البقاء على الأقل في مجال البناء والترميم، فنجدها موجهة لتأثيث المساجد والمنازل بشكل خاص. وإذا كانت صناعة الخشب في المدينة قد تراجعت وعانت من المنافسة الأوروبية، فإنها في الريف قد واصلت نشاطها رغم بساطتها، فقد كانت مرتبطة بالنمط المعيشي للسكان، فالخيمة كانت بحاجة دائمة لدعائم خشبية وهذا ما سمح لبعض الحرفيين من مواصلة نشاطهم ولو بشكل تقليدي، حيث كانت وسائل العمل بسيطة تتكون من السكين أو الفأس والمطرقة الحادة، أما في صناعة بعض الأواني الخشبية فكان الأزميل هو الأداة الأساسية في صناعة الصحون والجفون. ولم يهتم سكان المنطقة بالقيمة الجمالية للمصنوعات بقدر ما كانت تراعي الكمية والحاجة الملحة، هذا ما دلت عليه بقايا بعض المصنوعات التي تمّ العثور عليها في وادي مينا على حافة ممر سيدي محمد بن عودة جنوب غليزان، وكانت تمثل أعمدة الخيام بأشكال وأحجام مختلفة، كانت تشبه البقايا الخشبية التي كانت منتشرة في شمال إفريقيا، خاصة في منطقة تبسة والأوراس وندرومة، والتي تعود إلى فترة دخول المسيحية في شمال إفريقيا.[56]

لقد وقع الحرفيون الجزائريون فريسة المنافسة الأوروبية والرأسمالية الاقتصادية الجديدة التي لم يتعودوا عليها، فقد كانوا مجرد تابعين لقوى لم تكن راغبة في إقامة بنى تحتية لنشاط صناعي متطور، فالرأسمالية الفردية التي كرستها فرنسا لا يمكنها أن تطلق وحدة التصنيع في المستعمرة، ولا يمكن للورشات الصناعية أن تحقق ربحا ماليا يساوي معدل الربح في الفروع الصناعية في فرنسا.[57]

هذا الوضع جعل العديد من الحرفيين يتخلون عن أنشطتهم التقليدية مع محاولة البعض الصمود في وجه هذا التيار، ولهذا اقتصر عمل البعض على الأعمال التكميلية المرتبطة بالتوجهات الصناعية الجديدة، وهذا الوضع جعل موقفهم المادي سيئا، فأصبحوا أقرب من العمال عنه من ذوي الأملاك، هذا الوضع جعل العديد منهم يفضلون الهجرة إلى الدول العربية مثل سوريا والمغرب ودول عربية أخرى، في حين تمكنت الفئة المقتدرة من الصمود خاصة وأنه كان لها محلات خاصة، وتحصلت على مساعدات مالية على شكل قروض مكنتها من مواصلة العمل، على أن العديد منهم وقع فريسة المضاربة والديون، ويبدو أن هذه الظاهرة كانت حتمية على الجزائريين سواء في المدينة أو الريف، فرضتها سلطة الاحتلال على مجتمع سلب من أبسط حقوقه.

56-Gsell (S), Op Cit, P 104.
57 - AOM, 14 H /36-37, service artisanale, Op Cit.

3- الإشراف الفرنسي على النشاط الحرفي:

فقدت العديد من الأسر الجزائرية مصادر رزقها، فإدخال الآلات أحال الحرفين على البطالة، فاستخدم السوط لرمي الوشيعة، والمشط والأنيار المعدنية واستيراد الخيوط قضى نهائيا على حرف عديدة كانت تقوم بها الأسر الريفية، أما الاعتماد على ألآت النسيج الميكانيكية رفعت كمية الإنتاج وأفقدته الجودة والإتقان، وبتراجع هذه الحرفة تّم القضاء على سوق الغزل المحلي اليومي الذي كان يعرض أروع الخيوط التي كان يصدر جزءا منها إلى المغرب.[58]

حاول الحرفيون بعث هذا النشاط بإقامة تعاونيات حرفية للنسيج، لكنهم فشلوا في تصريف منتجاتهم مما أدى إلى تكديسها، القلة منهم تمكنوا من تصريفها، فتراجع الربح من125 فرنك إلى 15 فرنك في فترة الرخاء، ومع استمرار الأزمة أرغم العديد من الحرفيين على غلق ورشاتهم 70 % .59

أمام هذا الوضع ظهرت محاولات فرنسية غير رسمية للحفاظ على هذا النشاط، تبعتها محاولات رسمية بعد انفلات الأوضاع من بين يد السلطة الفرنسية، وتمثل هذا في:

1.3- إقامة المؤسسات المهنية في العمالة:

اهتمت سلطة الاحتلال بالتعليم لأغرض استعمارية خاصة التعليم المهني فاستغلت فرصة أزمات النشاط الحرفي لإقامة مدارس تكوينية، فاقترح رئيس دائرة مينا المختلطة تأسيس مدارس في أهم المراكز الحرفية كمدينة القلعة المشتهرة بصناعة الزرابي، وفتح مؤسسات للتكوين بكل مرافقها كسكن المعلمين وقاعات التدريس والتطبيق، اعتمدت فرنسا في عملية التكوين على أسر الحرفين لضمان بقاء واستمرار حرفة النسيج مثلا، وللحفاظ على النماذج التقليدية القديمة والمواد الأولية خاصة الألوان الطبيعية المستخرجة من الأعشاب كالحنة التي تعطي رونقا جميلا للزرابي وملمسا ناعما.[60]

سعت هذه المدارس إلى الحفاظ على الطابع التقليدي مع السعي للبحث عن نماذج وأشكال محلية قديمة تم نسيانها، وإعادة تجديدها والتفكير في إدخال بعض التعديلات دون الإخلال بطابعها الأصلي؛ أي تكليف حرفي كمشرف على العمل وظيفته مراقبة المنتج، وهنا ظهرت فكرة تنظيم حرفة النسيج، فقسمت من حيث المقاسات والأطوال

58 -AOM, 14 H /36-37, service artisanale, Ibid.
59- AOM, 14 H /36-37, service artisanale, Op Cit.
60- AOM, GGA, 14 H/ 32 Rapport du 01.06.1924, P 04.

والأوزان والنوعية[61]، ولتفادي التقليد وضعت علامات لكل منتج للتفريق بين القطع الحقيقية والمقلدة، نجم عن ذلك علاقة تعاون بين الجزائريين والأوربيين، وساهم في تطوير نسيج الزرابي ذات العقدة، تعتمد على وضع مجموعة من العقد في الخيوط الخلفية للقطعة.[62]

ساهمت هذه الطريقة في إعادة بعث حرف منزلية نسائية، ما حفز المحتل على اتخاذ مجموعة من الإجراءات لمساعدتهن أهمها:

- تقديم المساعدات مالية لشراء المواد الأولية، تقدمها التعاونيات الأهلية للاحتياط.

- فتح مراكز حرفية، وتكوين عاملات مؤهلات.

- تعيين مراقبين للإشراف على للقروض المقدمة للجزائريين، وزيارة العاملات في المنازل وتقديم التوجيهات والنصائح، وتشجيعهنّ عن طريق تقديم مكافئات ومنح خاصة، والبحث عن وسائل لتطوير وتحسين الإنتاج.[63]

أنتج التدخل الفرنسي في مجال النسيج نوعين من المنتجات؛ الأول محلي جزائري ينسج في مصانع صغيرة، أما الثاني نجده في المصانع الكبرى المجهزة بأحسن الوسائل المادية والبشرية، خاضعة لإدارة الفرنسيين، نادرا ما يشرف عليها الجزائريون.[64]

كما برزت في هذا النوع من الصناعات ظاهرة التخصص، وهي سمة مرتبطة بالأنظمة الرأسمالية،65 فقسم العمال إلى مجموعات: الأولى والثانية حكرا على النساء متخصصة بتحضير العمال وتطوير النماذج ومجموعة العقد، أما الثالثة فكانت خاصة بالرجال وهي المرحلة النهائية من العمل،[66] كما نجد المجموعة الصناعية الجزائرية فكانت تحت إشراف رئيس جزائري.[67]

---

61 - Lucienne(B), l'industrie du tapis à la Klaa de Beni Rached, in B S G O, 1942, P 393.

62- AOM, GGA, 14 H/ 32 Rapport du 01.06.1924, Op Cit, P 04..

63- 14 H /32, AOM, GGA, 14 H/ 32, Ibid, P 24.

64-Azane (P), Op Cit, P 118

65 - عدّى الهوارى، المرجع السابق، ص 162.

66-Azane (P), Op Cit, P 119.

67-Ibid.

بدأ التعليم بشكل فاتر حيث خصصت بعض الأقسام في المدارس الابتدائية لتقديم دروس في التكوين، ثم تطورت لتصبح مراكز خاصة بالنسيج.[68]

ارتفعت عدد المدارس التكوينية حيث قامت بعض الفرنسيات بفتحها في عدة مناطق مثل كتفيل بوهران "quetteville" وقلعة بني راشد مسيي "Messier" وتلمسان سايتون "Saéton" تمحور نشاطها في تعليم البنات أصول حرفة النسيج التقليدي مع إدخال تقنيات حديثة، والاعتماد على مواد أولية جديدة وتبني الأصباغ الصناعية.[69]

انتشرت فكرة إقامة مؤسسات تعليمية في مختلف الدوائر المختلطة اهتمت متعددة التخصصات ففلى جانب النسيج اهتم الفرنسيون بالطرز والخياطة الدلذان كان يقدمان مرتين في الأسبوع، لقيت إقبالا كبيرا من قبل المجتمع لدرجة أن سلطة الاحتلال رأت فيها منافسا قويا قادرا على خلق مشاكل لها على الصعيد الاجتماعي.[70]

ظهرت مبادرة الفرنسية بلاشو "Blachou" و راوكس"Raoux" خصت إقامة مدرسة لتعليم حياكة الزرابي في سيدي بلعباس، بمساعدة تبرعات البرجوازيين الفرنسيين، أشرفت عليها مؤسسة دينية بقيادة الراهبة سانت جوليان والتي سبق لها أن أسست مدارس مشابهة في مناطق عدة في غليزان وتنس.[71]

أمام هذه التطورات رأت سلطة الاحتلال ضرورة التدخل فخصصت ميزانية لتقديم دروس الحياكة والنسيج والطرز والخياطة، ضمت أقسام الرسم، الأشكال الهندسية وأخرى للصباغة.[72]

انتقلت بعدها بفتح مراكز مهنية ريفية للرجال في وعدة تخصصات مثل البناء، إصلاح العربات البستنة، [73] تمَّ ربطها بمديرية الأكاديمية، أشرف على إدارتها رؤساء الدوائر في البلديات المختلطة.[74]

68- Demontés (V), Algérie industrielle, Op Cit, P 55.
69-Lucienne(B), Op Cit, P 393.
Archive Communal d'Oran, Caisse 03, circulaire Préfectoral N° 70-7909, 1920.
Archive Communal Sidi Bel Abbes, Affaire divers (SN), 1920-71-1924.
72 -Démontes (V), Algérie industrielle, Op Cit, P 56.
73-AOM, GGA, 3 cabs 38, Rapport, N°2, P 15.
74 - * تم فتح العديد من المدارس المهنية في سنة 1911 في مختلف مناطق العمالة، وقد تحولت فيما بعد إلى ورشات خاصة للتكوين، وأصبحت ملحقة تابعة إلى المدارس الابتدائية في سنة 1912، يقسم

وجدت الحكومة الفرنسية العامة أمام فراغ عمالي متخصص، فأجبرت على إقحام الجزائريين في المجال الصناعي، ففتحت العديد من المراكز التكوينية المختلفة، بدأت بالمدارس الفلاحية ثم نتقل إلى المدارس الصناعية المتخصصة في الطلاء، الحدادة، وصناعة هياكل السفن وعمال البناء.[75]

وقد تواصل الاهتمام بالتكوين المهني في المدينة أو الريف إلى غاية 1939، فنجد المراكز الخاصة بتربية الأبقار، زراعة الأشجار، صناعة الفخار، الحدادة والتجارة، وقد وجدت في تلمسان ورشة خاصة متنقلة للتجارة والحدادة، ركزت على إعطاء المعارف الأولية لسكان الريف؛ الذين يعملون على تقديم الأعمال اليدوية التقنية في الريف الجزائري.[76]

أما في المدن فقد انتشرت المراكز المهنية والتي سميت بالمدارس أو المؤسسات التقنية منها: النسيج، نجارة الأبنوس، الرسم، الهندسة، المسح وتسوية الأراضي، الحساب والمعارف العلمية[77] وكانت بعض المراكز الأخرى تابعة لمدرسة الفنون الجميلة مثل الخزف، النقش الديكور، كانت تابعة بشكل مباشر لمديرية الأكاديمية.[78]

تم التفكير في إعادة تنظيم الحرف اليدوية بإقامة مؤسسات خاصة أهمها دار الحرفة، المراكز التعليمية الداخلية، والفرقة الأكاديمية للرسم لتطوير حرفة النسيج من خلال:[79]

- تكوين متخصصين لتعليم التقنيات، كونت دفعات من المعلمات للالتحاق بإحدى المراكز التكوينية الداخلية.

- إعداد النماذج والأشكال الهندسية المختلفة الخاصة الزرابي.

بعدها التلاميذ إلى قسمين، المتفوقين، فيتم توجيههم إلى الأعمال اليدوية يتلقون خلالها الرسم، الحساب، والمحاسبة و التشريع الصناعي، وكل هذا باللغة الفرنسية، أما القسم الثاني فيتم توجيههم إلى الصناعة التقليدية، وتدرس حسب كل تخصص، أنظر في هذا الشأن كتاب فاني كولونا، ص 288.

75- La Dépêche algéroise, 25 Mai 1925, N° 2313.

76-AOM, GGA 3 Cab 38 Rapport, N°2 P7

77-Awo, Série I 4065, enseignent indigène 1903-1922.

78-AOM, GGA, 3 Cab 38, Op Cit, P 16.

80-AOM, GGA O/32, Direction des affaires indigènes, service artisanat n° 1378, 04-11-1931, PP 1 - 5.

ومع أهميتها خاف بعض الفرنسيون من انحراف هذه المؤسسات عن هدفها التعليمي، فتمّ التفكير في إلغاء منصب مدير دار الحرفة، لكنها لقيت معارضة شديدة كونها كانت تساهم في الأنشطة الاقتصادية فكان من الذين ضروري الحفاظ عليها خاصة أقسام الحرف النسائية.[80]

2.3- تأسيس الجمعيات الحرفية:

لم تكن فكرة إقامة الجمعيات والتعاونيات المهنية بالفكرة الجديدة بل وجدت في العهد العثماني لكنها تمركزت في الحواضر الكبرى، ففكرت الإدارة الفرنسية في فتحها فظهرت العديد منها أهمها الجمعيات الأهلية للاحتياط الخاصة بالحرفيين، تم إدخال إصلاحات على الحرف لحمايتها، وكان من الضروري الوقوف عند أهم المشاكل التي عانى منها الحرفيون أهمها:[81]

- نقص الإمكانيات والدعم المادي.

- العزلة التي كانت تعاني منها المناطق ريفية المصدر الأساسي للمواد الأولية .

ولمواجهة هذه المشاكل أُقيمت الجمعيات الحرفية والتعاونيات، وحرصت الإدارة الفرنسية على بقائها واستمرارها، بتوحيد الجهود الفردية والجماعية وتوفير الشروط الاقتصادية والتقنية للإنتاج.[82]

نص المرسوم الخاص بالقروض على ضرورة إقامة غرف حرفية للحصول على قروض مالية، هذه التعاونيات التي كانت تضم كل الحرفيين الجزائريين الخاضعين لقانون الجمعيات الاحتياطية والقروض التعاضدية الجزائرية، تكون جهازها الإداري والتنظيمي من قسمين، الأول فرنسي على رأسه المستشار والقابض الأساسي وبعض المشرفين، والثاني نجد فيه الجزائريين الذين شكلوا الأعضاء والمُعَّلمين، يعينهم الحاكم العام.[83]

تعمل هذه التعاونيات على إنتاج مواد موجهة للسوق الفرنسي خاصة الحرف النسيجية التي كان لأصحابها عقود مع شركات ومؤسسات فرنسية، خاصة المؤسسات

80- AOM, GGA, O/ 32, Ibid, PP 6- 7.
81- AOM, GGA, O/ 32, Direction des affaires indigènes, service artisanat PP 6- 7, PP 6- 7
82-AOM 3 Cab 38 3 Cab 38 Rapport N°2 P9.
83-AOM, 3 Cab 38 Les annexes, P 05.

العسكرية التي كانت يوفر لها النسيج المحلي الألبسة والأقمشة والأغطية وحتى الجلود والأحذية.[84]

إلى جانب التعاونيات، تم التفكير في طريقة لإيجاد حل خاص بمسألة توفير المواد الأولية من خلال الاعتماد على القروض، وهذا بتأسيس جمعيات أهلية للاحتياط الحرفي (Société Indigène de Prévoyance Algérienne) والتي كانت تهدف إلى: تشجيع وتطوير الحرف الجزائرية، تقديم الدعم المالي الجزائريين الذين يمارسون مختلف الحرف وبمجهودهم الخاص، تنظيم عملية شراء المواد الأولية وبيع المنتج الحرفي، تشجيع المبادرات الخاصة عن طريق توفير الضمانات وتقديم المساعدات.[85]

جاءت فكرة تخصيص قروض للحرف انطلاقا من القرار الصادر في 28 نوفمبر 1938 الذي أعطى الحرية للسلطات الفرنسية لتقديم المساعدة للحرفيين حسب الضرورة، وتمكنت بعض الجمعيات من مواصلة عملها بفضله، أهمها الجمعية الحرفية لمدينة تلمسان التي تأسست سنة 1938، والتي عرفت منتجاتها رواجا واسعا، في حين جابهت العديد من الجمعيات الحرفية انتكاسة بعد الأزمة التي لحقت بهذا القطاع، فرأى الحاكم العام تقديم المساعدات، حددت بمائة ألف فرنك.[86]

شجع هذا النجاح إدارة الاحتلال على إعداد قانون خاص بالقروض، واقترح تقديم دعم لخمسة سنوات، يسدد الدين على شكل حصص بفائدة مقدرة بستة بالمائة، على أن يوزع القرض تدريجيا حسب مختلف مراحل العمل لضمان استمرار يته.[87]

وكان بإمكان أعضاء الجمعيات الحرفية الحصول على قروض بضمان الحصص المالية المسددة. ومع هذا فقدت بعض الحرف جودتها، بسبب ارتفاع أسعار المواد الأولية، والاعتماد على المواد الصناعية، كما لوحظ رداءة الإنتاج خاصة في الزرابي من حيث الأشكال والنماذج.[88]

إن التطور الحاصل في الإنتاج الحرفي أدى إلى تضخم الإنتاج ما أثر سلبا على الأسعار، ولتفادي الوقوع في أزمات نظموا عمليات البيع بتنظيم الأسواق الداخلية

84-AOM, 3 Cab 38, Rapport N° 02, p 09.
85-AOM, 3 Cab 38, Rapport N° 02, Op Cit, PP 06-07.
86-AOM, 3 Cab 38, Rapport, N° 02, Ibid, P 05.
87-AOM, GGA, 3 Cab 38, Ibid, P 04.
89-AOM, GGA, 3Cab 3, Rapport Picard (M), L'artisanat dans le Département, P 11.

والخارجية، يراقب فيها سقف الإنتاج وتحدد الأسعار مع وضع نظام مراقبة وإعادة النظر في تقنية الإنتاج.

الخاتمة:

إن الأزمة التي عانى منها القطاع الحرفي في الجزائر كانت بسبب السياسة الفرنسية، ولهذا رأت ضرورة اتخاذ مجموعة من الإجراءات أهمها:

- إحداث تخصص في الإنتاج الحرفي.

- تكيف الإنتاج المحلي مع متطلبات السوق العالمية.

- تطوير عمليات البيع في الأسواق القديمة وفتح أخرى جديدة.

- تحويل بعض الحرف إلى صناعة حديث، فتأسست مصانع في وهران تلمسان، ندرومة، بني صاف، فرندة، كانت تصدر منتجاتها إلى أكبر المتاجر الباريسية، يتم نقلها بعدها إلى بقية الدول الأوروبية، وقد أقيمت معارض خاصة بها.

لقد شهد القطاع الحرفي تحولا عاما في طبيعة نمطه فمن قطاع تقليدي محلي إلى قطاع عصري فرنسي. ولم يكتفي الفرنسيون بالسيطرة على مصادر رزق السكان في العمالة وتحويله إلى قطاع عصري يسعى من أجل توفير حاجيات السوق الفرنسية والأوروبية، بل انتقلوا إلى إقامة نشاط صناعي جديد في أبعاده وأهدافه، نشاط مرتبط بتوجهات السياسية الفرنسية في مجال التصنيع.

قائمة المراجع:

العربية:

1 - عدّى الهوارى، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي، 1830-1960، ترجمة جوزيف عبد الله، ط1، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، 1983

2 - مبارك الميلى، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3 ، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964

الأجنبية:

3- Archive Communal Sidi Bel Abbes, Affaire divers (SN), 1920-1924.

4- Archive Communal d'Oran, Caisse 03, circulaire Préfectoral N° 7909, 1920.

5-Archie d'Outre Mer, 14 H /16 statistique économique de l'Algérie, 1910.

6-AOM, Gouvernement General Algérien, 14 H /36-37, Service artisanale, De bois Hebert, Note sur le Rôle de la maison de l'artisanat, 1932.
7-AOM, GGA 14 H/ 32 enquête du 1en juin 1924
8-AOM, GGA 3 Cab 38 Rapport, N°2
9-AOM, GGA O/32, Direction des affaires indigènes, service artisanat n° 1378, 04-11-1931
10-Awo, Série I 4065, enseignent indigène 1903-1922.
11-Azane (P), L'artisanat en Oranie, (sans édition, sans datte)
12-Démontes (V), Algérie industrielle et commerçantes, collection du centenaire de l'Algérie,(1830-1930) La rose, Paris, 1930
13-Gaid (M), Principe de la colonisation et de législation coloniale, lib de recueil serey, Paris, 1938
14-La Dépêche algéroise, 25 Mai 1925, N° 231
15-Lucienne(B), l'industrie du tapis à la Klaa de Beni Rached, in B S G O, 1942,
16-Merad Boudia (A), la formation sociologie Algérienne précoloniale, OPU, 1977, P 161.
17-Ricard (P), AOM, 3Cab 38, Rapport sur l'artisanat
18- Touati (L), T1, l'0ranie colonisée, économie, société et acculturation, 1881-1937, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, université de Nice, 1984, Op Cit, p 161.
19-Gsell (S), Histoire ancienne de l' Afrique de Nord, T1 les condition du développement historique, les temps primitif; la civilisation carthaginois 1912-1928.